مات مختار !! . .

... وفجأة همت العيون ! .. واسترسلت الدموع ! .. وهطل الدمع كالمزن المتدفق !! .. بالفاجعة الفواجع ! بالنفوس الهوالع ! بالعيون الهوامع !.. بالهم الذي ألح على الأمالع !!.. ما شأن الأمة ما دهاها ؟ ؟ ! ما المصاب الذي دوى في رباها ؟ ! ...

النيل قد غاض ؟ ! .. مخرق القلوب قد فاض ؟ !! ...

أم هل زلزلت الأهرام ؟ ! فتكست على أطلالها الأعلام ؟ !! ..

إذاً ما شأن الأمة مادهاها ؟ ؟ ! إن الأمة قد فقدت فتاها ! إنها قد خسرت رمزاً من رموز علاها !! ..

هل جاءكم نذير ؟ ! عن هذا الخطب الجلل الخطير ؟ ! قر هوى في الحفير ! ! .. وأورث الجوانح السعير ! ! .. مات « مختار » إي ! وأقفرت من ربها الدار ! .. ناح عليه الفن : الذي وهبه نفسه من غير من . . فجاليه الرباح !! .. وتواديه السهول والبطاح !!.. والفحم الثم ، والأحجار الصم !! .. مادت لمصابك يا « مختار » الجبال ! ! ودكت أطواد الآمال ! ! وجثت الكواكب تعزي التمثال ! ! . . يكنك الصخور ! ! وأنت لمونك الأمثال في الخطور ! ! وعم الحزن الشباب والشيب ، والنجيبة والنجيب . . هتكت المقاتل من أجلك الصدور !! وأعولت عليك ربات الخدور ! ! . .

ودمعك بالمغفرة أنقياء . . . وسوى نعيك بين الأحباب والأعداء !! . .

محنة وطنية : وفجيعة قومية ! وأمة وفية ...

كنت كالبدر أثرت السدوف . . ولكن عند تمام أدركك الخسوف ! ! . . وقضيت في ريعان الشباب ، وقفلت عاجلا إلى المآب ! ! ...

لهف نفسي حينما هرولت إلى المحاق ! ! وأحرزت شوط السباق ! ! . . .

ولكن ليهنك أن تناولت الجائزة من يد رضوان . . وخلدت في الجنان . . . ونعمت بالحور والولدان . . .

هل علمتم أن الشموس ؟ ! تؤول يوما إلى الرموس ؟ ! دارت دورة الفلك ، وغاب النور وعم الحلك ! ! . .

كنت « يامختار » سراجا وضاء الذبالة . . فقد زيت حياتك وشحا حتى الثمالة !! .. وهنا صدعت بأمر القدر ! ! وصعدت روحك في مثل لمحة البصر ! ! . .

ما شأن الأمة ما دهاها ؟ ؟ ! إن الأمة قد فقدت فتاها ! ! إنها قد خسرت رمزاً من رموز علاها ! ! ! . .

سائل « مدينة النور » هل باءها نبأ المقدور ؟ ! . . جرى محتوم القضاء ! ! في نائبة البيضاء إذ فجر المثالين وعماد القانون ، ونادرة العبقريين ! ! . .

أرسل الصيحة إلى ماويه البحار .. وأذع مشائم الأخبار ! ! . . بين المنائر والمنار .. وانزعها الأخبار . .

موت من عقدكم كريمة خزائنه ! ! فاعدوا حنايا الضلوع لحداً لرفاته ! ! . . وطأطئوا الهامات إجلالا لوفاته ! ! ...

هذا مصاب الكنانة ! ! فحمل الأثير أمانة : أن يهمس في أذن « عروس النيل » . . . : « فقدت المثال وعدمت عصر المثيل »

بلغ « الدين » وربوعه .. ميادين الحديث وبقيوعه .. ان نابغه « مختار » . . وقع عليه الخبار !! ونشبت المنية فيه الاظفار !! ....

ماشأن الأمة مادهاها ؟ ؟ : إن الأمة قد فقدت فتاها ! ! إنها قد خسرت رمزاً من رموز علاها ! ! . .

اسع مع الحشد واتزر ... وقف بالميدان خاشع البصر !! واستلهم المثال بإلهك الطهر !! .. سيقبس عليك القبسة ... فتى أخذته القبسة !! فاحتمل من بلواه حصة !! ...

« إرجع بالخيال ... إلى العصر الخالي ... وغاب الصحائف ... تجد فيها لفن مناحف ... هاؤم القراءة وما خلدوا ... واطيا كل وما شيدوا ... والقصور وما جددوا .... وهذه الدمى الخالدة . . . عزت في الفن تحت إشراف سليقة !! وشئون مايزجى وفنان ! ! . . .

تكلم الأهرام : تحضنت على جدثها قرون وأعوام ! ! وتقصفت دونه وصيفها جبابرة الأقلام ! ! ...

دار الزمن دورته ! ! ورقد « أبو الهول » رقدته .. وطال تعاسه !! وضعف بأسه !! ..

وجر الخمول على الوطن الأذيال .... وأرخى دون أبنائه الأسدال . . ..

حتى كان هذا العصر ... لاح نور الفجر .. وأزيح ستار الجهل عن مصر . . .

انتفضت الأمة تنفضها ! وسجلت على الزمان نهضتها . . ..

وزارت زائرها !! وقال العالم مالها ؟ ! إن الجد أوحى لها ... أن تعرض استقلالها ... وكان « مختار » مثالها . . ..

ومن هذا الحين اختصر تقدمي أمته ... وعنيت أمانيها في همته ...

وفيما هو يبث فن القراءة الأجداد ، ويؤدى الرسالة للأجيال والأحفاد ...

وإذا بالقدر الرابض ، يثب من بين أطباق الغيب الغامض !! فيدمر الأمل الناهض !! ...

أقدار متمردة !! أسقمات صحة متوقدة !! .. خبا الأوار !! وتحطمت مشكاة الأنوار !! ..

جللوا الصحف بالسواد ! ! وألبسوا على التقى أثواب الحداد ! ! طوت المنون صفحته ومضى للمعاد !! ...

أبدلوا الفخر بالجزع !! وجاملوا أمكم فقلبها المخلع !! وأقيموا الصلاة فى المساجد والبيع ..

ياقوم إنكم تودعون الكوكب الزاهر !! ياقوم إنكم تشيعون النور إلى المقابر !! ...

ياقوم إن الدهر بكم لساخر !! .. يارب ماهذا الجلد العاثر ؟ ! ! ...

يارب ضاقت الساحة ! ! ياقوم أقبلوا على الفن مناحة ! ! ! ...

تباركت اللهم : لا راد لأمرك ، ولا معقب لحكمك !! جعلت التضحية طريق الخلد . . . والفداء سببا إلى الخلد !! . . .

هكذا ذهب « عنتار » عن شعب قدس حياته ! ! .. وغسل بالدموع رفاته ! ! ! . . وسيذكره بالفخر ماذكر فنه ومتحاته ...

يا أشبال النيل : إن الوطن يعيبه البكاء والعويل !! ونحييه التضحية فى استعادة مجده الأثيل !.. فهل تفت موته الخبل فى الأعضاء ؟ ! أم تلهمكم السداد ؟! ...

عرجوا بثيره فجدوه ... واستوحوه الفن واستلهموه ... ثم عودوا إلى فنه فأحيوه ...

فمات من أحيا أمته ، ووهبها عزيمته ، وأرخص فى حبها روحه وهمته ! ! . .

يرد الله بالرضوان ثرى الفقيد ! ! وأمطر شآبيب الغفران على جدث الشهيد ! ! . . لقد عز المعالى عما هامدة ! ! وحرك حياة طال عليها المدى جامدة !! . . .

سلام عليك يوم بعثت فن الأجداد ، سلام عليك يوم مت ويوم تبعث للمعاد ...

سلام عليك باظفرا فى الجهاد ... سلام عليك بابطلا فى الاستشهاد .. ..

حمزة عزيز غريب

مفتش التلاك

سكرتير عام غابة البحيرة

الرجال أبيه ينطل

أرجال أدبية وفكاهات طريفة عن الأدبيات والاجتماعات التى يحتويها هذا المؤلف . وقد تفضل الأستاذ محمد كامل أمين بإهدائنا الجزء الأول من هذه الأرجال فنشكر له هذا الاهداء .